

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

الورد العاشر

إن لذكر الله مكانة عالية في الدين، وأثر عميق في النفس، يُبعد به الهمّ ويطرد به الغمّ، وله من الفضائل والخيرات المتوالية في الدنيا والآخرة، ومن جملة تلك الأذكار قول: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)** فهذه الكلمة العظيمة قد حوت على فضائل وفوائد جمة غزيرة.

لقد اشتمل هذا الذكر الجليل على معاني عميقة ترسخ أعظم العبوديات القلبية من التوحيد واليقين، وحسن الاستعانة والتوكل على الله.

فـ**(لا حول ولا قوة إلا بالله)**: نفي لأي تحرك وتحول من حال إلى حال، ونفي لأي قدرة على ذلك التحول إلا بعون وتأييد وتوفيق من الله العلي العظيم وحده.

قال ابن تيمية رحمه الله: "دلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال ولا قدرة على ذلك إلا بالله".

فلا حول ولا استطاعة على عمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة على ترك لمعصية إلا بالله، ولا حول في دفع كل شر، ولا قوة في تحصيل خير أو القيام بأي شأن، أو تحقيق أمر إلا بالله. فالعبد عاجز عن الاستقلال ب جلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه، ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**.

وعظم شأن هذا الذكر العظيم نابع مما حواه من جليل معاني التوحيد؛ بإفراد الله بالتدبير وحسن الظن به وكمال التوكل والتفويض والاستسلام، وإظهار العبد فقره وعجزه وضعفه، وتبرئه من حوله وقوته، وقطع التعلق بكل ما عداه، وبهذا تتجلى حقيقة العبودية لله، ويرتقي القلب في منازل اليقين.

وقد يخطئ بعض الناس في استعمال هذا الذكر في الاسترجاع عند المصائب فقط فيقولها بعضهم جَزْئًا لا صَبْرًا، يقول ابن عثيمين: "وليسَت هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثير من الناس إذا قيل له حصلت المصيبة قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن كلمة الاسترجاع أن تقول: **(إنا لله وإنا إليه راجعون)** أما هذه فهي كلمة استعانة".

لذا كانت المواطن التي يتأكد بها قول **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**: إذا قال المؤذن: «حي على الصلاة» فيقول المجيب: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**، وإذا قال: «حي على الفلاح» قال المجيب: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)** لأنه لا عون له على القيام بهذه الطاعة إلا بحول وقوة من الرحمن.

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

وجاء في فضائل هذا الذكر العظيم أحاديث كثيرة، منها: أنها كنزٌ من كنوز الجنة، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ قَيْسَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) [أخرجه مسلم].

فيا لعظيم هذا الفضل، كنزٌ من كنوز الجنة، مدخرٌ ثوابه النفيس لصاحبه يوم القيامة. وسبب هذا الفضل؛ أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له وأنه لا راد لأمره، ولا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر. إنَّ الحوقلة من ذخائر الأذكار التي تُكَابِدُ بها الصُّعَابُ وتُذِلُّ العسير، ويُستَقْوَى بها على الشدائد والكروب والمُكْدَرَاتِ، إذ الإنسان مجبول على الضعف كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ولما خُلِقَ بهذا الضعف؛ أمده تبارك وتعالى بأسباب تعينه وتقويه على مكابدة الحياة، وتجبر ضعفه.

ولهذه الكلمة تأثير عجيب في مواجهة القلق والهموم، ومعالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، وركوب الأهوال كافة، ويحثّ ابن تيمية رحمه الله على الإكثار منها فيقول: "وَلَيْكُنْ هَجِيرَاهُ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) فَإِنَّهَا بَهَا تُحْمَلُ الْأَثْقَالُ وَتُكَابِدُ الْأَهْوَالُ وَيُنَالُ رَفِيعُ الْأَحْوَالِ". كما أن لهذا الذكر أثرًا عظيمًا في دفع الكرب والهم والحزن، يقول ابن القيم: "وأما تأثير (لا حول ولا قوة إلا بالله) في دفع هذا الداء؛ فلما فيها من كمال التفويض، والتبري من الحول والقوة إلا به، وتسليم الأمر كله له، وعدم منازعته في شيء منه، وفي بعض الآثار: "إنه ما ينزل ملك من السماء، ولا يصعد إليها إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله، ولها تأثير عجيب في طرد الشيطان".

وقد اتخذ الموفقون الحوقلة عُذَّةً لهم في مواجهة كل مشقة؛ دينيةً كانت أم دنيويةً، فكان لهم من الله بها الفرج والتوفيق والإعانة! والعبد متى أعياه أمر فعجز عنه فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الله تعالى سيمده بالتيسير والمعونة عليه.

فاعتصم بالله في كل شدة، والجاإ إليه في كل ضيق وهم، وأكثر من الحوقلة بقلب موقن بصير بمعناها، حتى تنال من الله فرجًا وطمأنينة وعونًا؛ فإن مقاليد الأمور كلها بيده، فلا تحوّل من الوهن إلى القوة، ولا من النقصان إلى الزيادة، ولا من العسر إلى اليسر إلا بالله، ولا من الحزن إلى الفرح إلا بالله وبإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فاجعل قلبك معلقًا بربك في الرخاء والشدّة، واثبت على بابه لا تتركه، فإن الفرّج أقرب مما تظن، والرحمة أوسع مما تتخيّل.

ومن أقبل على الله بصدق، أقبل الله عليه بفضله، وأغناه عن الخلق أجمعين. فهو حسبك وكافيك، وإليه المنتهى والمصير.